المساكن السورية في العصر الروماني بين القرن الأول و القرن الثالث الميلاديين

د. إيفا أحمد الخطيب*

(تاريخ الإيداع 22 / 11 / 2020. قبل للنشر في 19 / 4 / 2021)

□ ملخّص □

ورثت الامبراطورية الرومانية عرش المملكة السلوقية في سورية (بعد سقوط آخر ملوكها أنطيوخوس الثالث عشر) ، وتحولت سورية إلى ولايةٍ من أهم ولايات الامبراطورية الرومانية والتي استمرت حوالي سبعة قرون.

لم يغير الرومان كثيراً على الأوضاع التي كانت سائدة في سورية من النواحي الاقتصادية والاجتماعية المزدهرة والمتطورة أساساً ، والتي كان قد تأثر ازدهارها بفعل الحروب ، هذا الازدهار الذي انعكس على عمرانها و منشآتها بحسب الوضع الاقتصادي لطبقاتها الاجتماعية المتعددة ما بين طبقة الأغنياء (ملاك الأراضي والضياع الكبيرة) أصحاب الفيلات والمساكن الكبيرة ذات الطابقين ، والطبقة الوسطى أصحاب المساكن المتوسطة والصغيرة نسبياً بمساحتها ، والطبقة الفقيرة العاملة التي تعيش في الأكواخ الخشبية الصغيرة .

يتضمن هذا البحث لمحة عن ازدهار سورية اقتصادياً في المجال الزراعي وانعكاس هذا الازدهار على تطور التجمعات الزراعية السكنية ، ولمحة عن جغرافية سورية في الفترة الرومانية ، ومقدمة عن المساكن الرومانية بأنواعها ، كما سيتطرق أيضاً لوصف المساكن المكتشفة في سورية في الريف وفي المدينة ، وأيضاً ذكر للمساكن العسكرية في عدد من المدن السورية في الشمال (الهضبة الكلسية) وفي الجنوب (المنطقة البازلتية) .

الكلمات المفتاحية : سورية ، الفترة الرومانية ، المساكن الريفية ، المساكن المدنية ، المساكن العسكرية ، الزراعة ، الاجتماعي ، الاقتصادي . [1]

* **مدرس – قسم التاريخ – كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سورية .**

Syrian residences in the Roman period (1 – 3 A . D)

Dr. Eva Ahmad Alkhatib*

(Received 22 / 11 / 2020. Accepted 19 / 4 / 2021)

□ ABSTRACT □

The Roman Empire inherited the thorn of Seleucid kingdom in Syria . (after the fall of its last king , Antiochus XIII) . And turn Syria into one of the most important states of the Roman Empire , which lasted about seven centuries .

The Romans didn't change much the conditions that prevailed in Syria in terms of economic and social development , mainly prosperous and developed , whose prosperity was affected by wars , this prosperity which reflected in its construction and its facilities according to the economic situations of its various social classes between the rich class (and owners and large villages) , owners the villas and large two storey residences , the middle class with medium and small residences , and the working poor class in the small wooden cottage . This research includes a historical and geographical overview of Syria during the Roman period . and the working poor class in the small wooden cottage.

It will also describe the discovered housing in the countryside and the city , as well as mention of military housing in a number of Syrian cities in north (the calcareous plateau) and in the south (the Basalt region) Horan , Palmyra , Apamea and Doura Europos .

Keywords : Syria , Roman period , rural residences , civilian residences , military residences , agriculture, economic , social .[1]

***Professor assistant , Department of history , faculty of arts , university of Tishreen , Lattakia , Syria .**

مقدمة

ورثت الامبراطورية الرومانية عرش المملكة السلوقية في سورية (بعد سقوط آخر ملوكها أنطيوخوس الثالث عشر) ، وتحولت سورية إلى ولايةٍ من أهم ولايات الامبراطورية الرومانية والتي استمرت حوالي سبعة قرون.

لم يغير الرومان كثيراً على الأوضاع التي كانت سائدة في سورية من النواحي الاقتصادية والاجتماعية المزدهرة والمتطورة أساساً ، والتي كان قد تأثر ازدهارها بفعل الحروب ، هذا الازدهار الذي انعكس على عمرانها و منشآتها بحسب الوضع الاقتصادي لطبقاتها الاجتماعية المتعددة ما بين طبقة الأغنياء (ملاك الأراضي والضياع الكبيرة) أصحاب الفيلات والمساكن الكبيرة ذات الطابقين ، والطبقة الوسطى أصحاب المساكن المتوسطة والصغيرة نسبياً بمساحتها ، والطبقة الفقيرة العاملة التي تعيش في الأكواخ الخشبية الصغيرة .

أهمية البحث وأهدافه :

يبرز هذا البحث أهمية سورية كولاية من أهم الولايات الرومانية في الشرق ، نتيجة لوقوعها على حدود الإمبراطورية الفارسية ، كما يبين مدى غنى وازدهار سورية اقتصادياً واجتماعياً بشكل انعكس على جميع مناحي الحياة فيها بما في ذلك موضوع بحثنا (المساكن) ، ومن هنا يمكن أن نطرح عدداً من الأفكار والتي يمكن أن نستنتج من خلالها أهمية وهدف البحث :

- ما هو دور المساكن في سورية في الفترة الرومانية .
- ما العلاقة بين الاقتصاد والأعمال والمساكن .
- الحالة الاقتصادية للفئات الاجتماعية وانعكاسها على بنية وشكل المسكن .
- ما صلة المساكن بالحالة الاجتماعية .

وبالتالي هدف البحث هو إعطاء صورة واضحة عن مدى انعكاس الوضع الاقتصادي والاجتماعي على عمارة وتصميم ودور هذه المساكن في تلك الفترة التي نحن بصدد دراستها .

منهجية البحث :

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع والأبحاث العربية والأجنبية عن آخر المكتشفات الأثرية في سورية، والتي تعطي صورة علمية موثقة تلقي الضوء على المساكن (المنازل) من ناحية معمارية ومن ناحية دورها الاقتصادي في الريف السوري في الفترة الرومانية وانعكاس الوضع الاجتماعي للطبقات السكانية في سورية على بناء وشكل ودور هذه المساكن .

ازدهار سورية اقتصادياً (الزراعة) في الفترة الرومانية و أثر ذلك على تطور التجمعات السكنية الزراعية :

تعاقبت الإمبراطوريات التي سيطرت على سورية في الألف الأول قبل الميلاد ، حتى سيطر الفرس عليها ، والذين حافظوا على الاستقلال الذاتي للمدن السورية بعد إعلان التبعية لهم [1]. من ثم استولى عليها الاسكندر المقدوني سنة 333 ق.م في موقعة Issos [2] ، والتي من بعدها توجه الاسكندر إلى الساحل السوري ومصر وعاد إلى ما وراء

[1] **Rostovtzeff , M ., Caravan cities , Oxford , 1992 , p . 20 .**

[2] **- الناصري ، سيد ، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري ، القاهرة ، 1985 ، ص 71 .**

الفرات حيث أحرز نصراً عظيماً في موقعة جاوجاميلا سنة 331 ق . م [1] ، وكانت النتيجة المباشرة لهذه المعركة أن سقطت الامبراطورية الفارسية وبدأت السيطرة الهلنستية على سورية [2] .

ما يهمنا من كل هذه الحروب و الأحداث السياسية و العسكرية هو أن سلوقس استطاع تأسيس مملكة في سورية وسيطر على أهم المعابر و الطرق الاستراتيجية التجارية الدولية في سورية بعد موقعة إبسوس 301 ق .م [3]، وأخضع المقاطعات و المدن الفينيقية ، ونشر الثقافة و الحضارة اليونانية عن طريق إنشاء مستوطنات للجنود في مواقع استراتيجية تسمح بالتحكم بالطرق والمعابر ، و من أهم هذه المدن : أنطاكية ، لاوديكية ، سلوقية بيريه وأباميا [4].

فيما بعد تحولت سورية إلى ولاية رومانية سنة 64 ق . م على يد القائد الروماني بومبي ، والذي رفض طلب آخر الملوك السلوقيين أنطيوخوس الثالث عشر 69 – 64 ق . م إبقاء السلطة بيده ، وقضى عليه وبذلك أصبحت سورية تحت سيطرته [5].

ومن ثم بدأت الحروب بين أتباع بومبي و قيصر الذي اغتيل سنة 44 ق . م ، وبعد معركة اكتيوم سنة 31 ق . م التي جرت بين أوكتافيانوس و ماركوس أنطونيوس والي سورية والتي قررت مصير بلدان البحر الأبيض المتوسط ، وكانت من أهم نتائجها هزيمته و انتحاره لاعتقاده بموت كليوبترا ، دخل بعدها أوكتافيانوس والقائد أغريبا أنطاكية وقام ببناء مسرح و حمامات رومانية سماها حمامات أغريبا ، و دخل اللاذقية وبنى فيها مسرحاً و حمامات أيضاً ، ثم بصرى [6]. أما منطقة الساحل الفينيقي فقد حرص أوغسطس على تأسيس المستوطنات العسكرية لتوطين الجنود الرومان المسرحين وزرع حواضر لنشر الثقافة و طريقة الحياة الرومانية إضافة للغة اللاتينية ، فأسس بيروت Berytus وبعلبك Heliopolis وأسكنها بالجنود الرومان وأقطعهم الأراضي الزراعية ومنحهم المكافآت لتشجيعهم على الإقامة فيها [7].

وكنتيجةٍ لإصلاحات أوغسطس سادت فترة من السلام والأمن أو بما دعي (فترة السلام الإمبراطوري) والذي دام حوالي 200 عام ، جعل أوغسطس من سورية قاعدة للجيوش الرومانية في الشرق ، ووضع فيها أربع فرق رومانية ، كما وجعلها الرومان مخزناً وترسانةً لصناعة الأسلحة حتى عصر دقلديانوس [8]، وأصبحت سورية من أهم الولايات الرومانية ونمى إنتاجها الزراعي والصناعي والتجاري نتيجة لتوقف الحروب وانتشار السلام والأمن فيها [9].

ويمكن القول بأن الولايات الشرقية ، كانت راضية عن نظام الحكم الذي تلقته ، وأنها قد تقبلت هذا النظام ، فأمن الناس على ممتلكاتهم ، ووضع حداً لأعمال السلب و النهب ، وعلى مر العصور ، وبخاصة ممن يعملون في فلاحة الأرض، كانوا على استعداد لأن يقضوا حياتهم ، راضين قانعين ، إذا ما تُركوا وشأنهم يفلحون أرضهم في أمن وسلام ، وقد انطبق هذا فيما يبدو بوجه عام على القرنين الأول والثاني .

---

[3]- Malalas . John . The chronicle of John Malalas . translation by Elizabeth Jeffry , Roger Scott , Sydney , 1986 , 8 . 1 .

[4]-Матеев , К ., Созонов , А ., Пять жизней древней Сури , М ., 1989 , С. 30 .

5– Diodorus . of Sicily . translation by Francis Walton . XXI . 1 . 4b – 6 – London , 1967 , p.7 .

[6] – AMMIANUS MARCELLINUS . translation by John Rolf . (the surviving books of the history of Amianus Marcellinus) XIV . 8 , 5 – 10 . pp. 68 -69 .

[7]- Кузищина , В , И ., История древнего Рима , М ., 2000 . С . 89 . – Grainger , J , D ., Hellenistic Phoenicia , Oxford , 1991 , p. 155 .

[8]- Матеев , К., Созонов , А., Пять жизней древней Сури , С.65. – Malalas .8.1. PP . 115 – 116 .

[9]- الناصري ، سيد ، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري ، ص 73 – 74 . – نصحي ، ابراهيم ، تاريخ الرومان ، ج 2، القاهرة ، 1983 ، ص 680 – 681 .

[10] - الناصري ، سيد ، تاريخ الامبراطورية السياسي و الحضاري ، ص 72 .

[11] – Rostovtzeff , M., The Near East in the Hellenistic and Roman times , Harvard , 1940 , p. 35 .

إن الأمر لا يعدو ما قاله أحد المؤرخين القدماء : (إن قلة من الناس فحسب هي التي تريد الحرية ، أما الغالبية العظمى فإنما تنشد الحكام المنصفين) . ودأبت الحكومة الرومانية على تشجيع الاستقرار والزراعة ، لأن ذلك لم يكن من شأنه أن يوفر محصول القمح الذي لا غنى عنه فحسب ، بل كان يمده بالمجندين اللازمين للجيش . كما وشجعت على امتلاك قطع صغيرة من الأرض ، حيث ظهرت في القرن الثاني الميلادي ضياع شاسعة تتبع الامبراطور ، حيث كان هؤلاء الزراع الصغار بمثابة مستأجرين من الامبراطور . [1]

ولقد انعكس هذا السلم والأمن كما أسلفنا ليس فقط على نواحٍ اقتصادية بل نراه ينعكس أيضاً في كافة المجالات الحياتية في سورية : على الحياة الاجتماعية للسوريين الذين كانوا يشكلون طبقات متفاوتة ما بين الأغنياء (ملاك الأراضي) وطبقة المزارعين والصناع والتجار وطبقة العبيد ... ، هذا التنوع الطبقي أدى بدوره لتنوع في أشكال المساكن التي كان يقطنها السوريون بكافة اختلافاتهم الطبقية .

ولقد أدى الازدهار الاقتصادي والتزايد الكبير لعدد السكان إلى انتشار كبير وملحوظ للتجمعات السكنية الزراعية وإلى عمليات تمدينٍ مكثفة ، أدت بدورها إلى توسع رقعة القرى وزيادة مساكنها داخل الأراضي الزراعية والرعوية ... [2].

جغرافية سورية :

تتألف سورية من شريط طويل ضيق من الأراضي الخصبة يمتد من طوروس حتى مصر ، ويحده المتوسط غرباً والصحراء شرقاً ، تتخللها العديد من الأنهار كنهر العاصي Orontes . وكانت تمثل الطريق الطبيعي ما بين مصر جنوباً وآسية الصغرى ومنطقة ما بين النهرين شمالاً ، ولهذا كانت على الدوام ميدان قتال بين القوى العظمى [3].

قُسمت سورية إلى أقاليم تاريخية جغرافية وثقافية حسب رأي المؤرخ الروسي غروشيفوي وآراء مؤرخين آخرين :

- المنطقة الشمالية : والتي ضمت أنطاكية – سلوقية بيريه – لاوديسيا – جبالا – أباميا – إيبيفانيا – إيميسا – هليوبوليس – بما في ذلك المناطق الداخلية في العمق السوري (بيرويه – جيرمانيكا – خالكيدا – ...) و حوض نهر العاصي .
- فينيقيا الرومانية : و ضمت بيروت – صيدا – صور .... .
- سورية الجنوبية (الديكابوليس) حلف المدن العشرة : بصرى – دمشق – قناثا – جرش ..... ، وشكلت هذه المدن بعد قضاء الإمبراطور الروماني تراجان على مملكة الأنباط سنة 106 ق . م بما يسمى الولاية العربية .
- جنوب شرق نهر الفرات : ضمت تدمر – دورا أوروبوس – الرصافة (سيرجيوبوليس) .
- منطقة الفرات العليا : ضمت إيديسا – نصيبين – منبج – زوغما ... .

كما و قسمها **غروشيفوي** أيضاً إلى ثلاثة مناطق اقتصادية :

1- المنطقة الساحلية (التجارة البحرية الدولية) .

2- المناطق الداخلية والتي كانت المركز الأساسي للمنتجات الزراعية السورية في الفترة الرومانية .

3- المناطق الشرقية : منطقة القوافل التجارية الدولية الشهيرة [4].

---

[12] – وورث ، تشارلز ، الامبراطورية الرومانية ، ترجمة : رمزي عبدة جرجس ، القاهرة ، 1999 ، ص 69 – 70 – 80 – 81 .

[13] - بالتي ، كلوس ، باسكال – بريمر ، فرانك ، ماهي الأطر الإقليمية التي ينتمي إليها المسكن القروي الخاص بمنطقة جنوب سورية ؟ ، ترجمة : ديمة أشقر ، حوران 3 ، دمشق ، 2016 ، ص 20 .

[14]- جونز ، أ. ه. م. مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية ، ترجمة : إحسان عباس ، عمان ، 1987 ، ص 15 – 20 .

15-Грущевой , А , Г,. Очерки экономической историй Сирии и Палестина в древности (1 В До .Н.Э.) СПБ . 2013 . С.9-10 .

أما **أميانوس مارسيلينوس** فقد وصف سورية جغرافياً على النحو التالي :

" الأرض الممتدة من جبال طوروس و سهول كيليكيا ، والتي تنتج كل أنواع الحبوب ، زاد من عظمتها وجود مدن مثل أنطاكية المدينة المعروفة في كل العالم ، والتي لا يمكن أن تنافسها مدينة أخرى في جمالها وعظمتها وبسلعها المحلية والمستوردة ، ولاوديكية وأباميا وسلوقية أيضاً مدن كانت مزدهرة منذ تأسيسها . وبعدها تأتي فينيقيا المتوضعة عند سفح جبل لبنان، الممتلئة سحراً وجمالاً. واحتوت خوانقها الجبلية على مدن كبيرة عظيمة : Tyre صور ، Sidon صيدا ، Berytus بيروت ، ومن ثم Emessa حمص ، Damascus دمشق ، مطوقة بنهر العاصي Orontes الذي يعبر بالقرب من جبل كاسيوس الشامخ والذي يصب بالقرب من خليج إيسوس ..... .

ومن ثم فلسطين و مدنها كقيسارية Caesarea التي بناها Herodos على شرف الإمبراطور Octavianus ، نابلس عسقلان وغزة التي بنيت في العصور القديمة .

ومن ثم تأتي العربية Arabia منطقة الأنباط ، وأيضاً حوت المنطقة على مدن أهمها : Bostra , Gerasa , Philadelphia وكلها سقطت تحت سيطرة تراجان ..... [1] " .

المساكن في الريف و المدينة :

يقول **فيتروفيوس Vitruvius** : " إذا أردنا أن تكون تصاميم المنازل صحيحة ، فعلينا أن ننتبه للمناخ ، والمناطق التي سنشيد عليها . فطرازٌ معين قد يبدو مناسباً للبناء في مصر ، وآخر في إسبانية ومنزل مختلف في روما ، وكذلك الأمر مع أراضٍ وبلاد ذات خصائص مختلفة .

ففي الشمال يجب أن تكون البيوت مغطاة بالأسقف بشكل كامل ، ومحمية قدر الإمكان وغير مكشوفة ذات توجيه دافئ . ولكن من ناحية أخرى في البلاد الجنوبية التي تعاني من الحر بسبب قوة حرارة الشمس ، فيجب بناء البيوت بشكل مكشوف أكثر مع توجه شمالي أو شمالي شرقي ، وهكذا باستطاعتنا أن نُعدل عن طريق الفن ما يمكن أن تفسده الطبيعة فيما لو تركت وشأنها ، وفي مواقف أخرى علينا أيضاً أن نجري تعديلات تناسب موقع الشمس وتأثيراتها في المناخ " [2] .

و كان للرومان ثلاثة أنواع رئيسية من دور الإقامة (المساكن) وهي قصور الأثرياء وبيوت الطبقة الوسطى ومساكن الفقراء . وكانت قصور الأثرياء دوراً رحبة تُهيئ لسكانها كل أسباب الراحة و المتعة بوفرة الغرف و الحمامات و دورات المياه و كل مظاهر الأناقة و الترف المتمثلة في مواد البناء و الأعمدة و الصور الحائطية و مختلف أنواع التحف ، فضلاً عن عدد كبير من الغرف للخدم و العبيد [3].

وكان البيت الريفي المعروف باسم فيلا ، عبارة عن دار واسعة يسكنها أحد كبار المزارعين وهي تقوم بالتالي وسط مزرعة كبيرة وتلائم متطلبات الاقتصاد الزراعي . لكن اتساع الأملاك الزراعية وازدياد الحاجة إلى الأيدي العاملة وتطور طرق عصر العنب والزيتون أدى مع الزمن إلى نشأة نوع خاص من البيوت الريفية الكبيرة (villa rustica) ، وخير مثال على هذا النوع من البيوت نجده في الفيلا المعروفة تحت اسم بوسكوريالي (Boscoreale) ، والتي تم

[16] – AMMIANUS MARCELINUS . Book XIV . 8 , 10 – 13 . PP. 70 -71 .

[17] - فيتروفيوس ، فيتروفيوس الكتب العشرة في العمارة ، ترجمة : يسار عابدين – عقبة فاكوس – ياسر الجابي ، الكتاب السادس ، الفصل الأول ، جامعة دمشق ، 2009 م .

[18]- نصحي ، ابراهيم ، تاريخ الرومان ، ج 2، ص 823 .

الكشف عنها في أواخر القرن التاسع عشر ، وهي تقع جنوب مدينة بومبيي في منطقة غنية بأشجار العنب والزيتون و يمكن اعتبارها مثالاً على الاقتصاد الزراعي في العصر الامبراطوري .

ويبلغ طول هذه الفيلا المستطيلة (20) م ، وعرضها (20) م وهي تتألف من منشآت كبيرة تشغل نصف مساحتها تقريباً، حيث تضم معصرةً لاستخراج زيت الزيتون وأخرى لعصر العنب و منشآت لتقطير الخمور والنبيذ وطاحونة للحبوب وفرناً لصنع الخبز واصطبلاً لحيوانات المزرعة ، بالإضافة إلى العديد من الغرف للخدم والعمال .

ويدخل المرء إلى هذه الدار الواسعة عبر بوابة كبيرة تتسع لمرور عربة من خلالها و تنفتح على باحة فسيحة يحيط بها رواق مسقوف من ثلاث اتجاهات وتحف بها الأعمدة . وكان يوجد فيها خزان مرتفع للمياه يقوم بتوزيعها عبر أنابيب رصاصية تنتشر في سائر مرافق الفيلا . كما كانت تضم حماماً كبيراً بأقسامه الكبيرة ، لتؤمن قسطاً من الراحة والرفاهية لأسياد هذه الفيلا الذين كانوا يسكنون في الطابق العلوي منه .

ولكن مع ازدياد الترف والرفاهية لم تعد هذه البيوت الريفية الزراعية تلبي رغبات الطبقات الثرية النبيلة ، وهكذا نشأ نمط جديد من القصور الفخمة التي عرفت باسم فيلا الضواحي (villa suburban) في هذه القصور ، والتي ليس لديها أي صلة بالحياة الزراعية السابقة ، كان الأشراف والأثرياء يمضون أوقات فراغهم ويستجمون من عناء و صخب الحياة في المدينة . ولهذا فإن هذه الفيلات كانت تقوم في أجمل المناطق الطبيعية قرب الأنهار والجبال والبحار .

من السمات الرئيسية لهذه القصور هو انفتاحها الكبير على الطبيعة على عكس مثيلاتها في المدينة ، وكل ما في هذه القصور كان معداً للاستمتاع بمباهج الحياة من مقصورات الطعام إلى الحمامات ، إلى الأروقة والمكتبات والتماثيل والرسوم . أما الحدائق الملحقة بها فكانت تضم شتى أنواع الزهور والأشجار بالإضافة إلى البحيرات و النوافير وهي من حيث ضخامتها وفخامتها أشبه بالحدائق العامة هذه الأيام [1].

أما بالنسبة لبيوت الطبقة الوسطى فقد كان أبرز ما يميزها القاعة الكبرى الأمامية وكانت تؤدي إلى بهو تصطف عادةً باقي الغرف على جانبيه .

كما وتطورت أغلب مساكن الطبقة الفقيرة من مبان تتألف من صفوف من الحوانيت تقع فوقها أو خلفها مساكن أربابها إلى عمائر كبيرة دعاها الرومان جزراً [2] ، وذلك نتيجة للكثافة السكانية الشديدة في روما ، بالإضافة إلى ارتفاع أثمان الأراضي السكنية ووصولها إلى أرقام خيالية جعلت الاحتفاظ بنمط الدار الرومانية ، التي مر وصفها والتي تشغل حيزاً للمكان أمراً مستحيلاً بالنسبة للطبقات الدنيا .

وهكذا توجب على سكان العاصمة ، الذين زادوا في العصر الامبراطوري على المليون نسمة ، أن يهجروا بالتدريج طريقة سكناهم القديمة ليسكنوا في أبنية طابقية عرفت بالجزر كما ذكر سابقاً (insulae) . والتي كان الكثير منها يتألف من ستة أو سبعة طوابق يصل ارتفاعها إلى عشرين متراً (ويبدو أن هذا النمط من البناء اقتبس من الشرق و لعله جاء من سورية) ، و كان الطابق الأرضي مخصصاً للدكاكين و الشقق السكنية التي ترتفع فوقها تتحلق حول باحة مركزية تضم حديقةً و معبداً صغيراً يمارس فيه السكان شعائرهم الدينية ، و كانت هذه الجزر السكنية تشكل السواد الأعظم من مساكن السواد الأعظم من الناس ، وكانت أسر بأكملها تقيم في حجرات قليلة أو في حجرة واحدة فقط .

[19]- محفل ، محمد . الزين ، محمد ، دراسات في تاريخ الرومان ، منشورات جامعة دمشق ، 2019 ، ص 139 – 140 .
[20] - نصحي ، ابراهيم ، تاريخ الرومان ، ج 2 ، ص 824 .

وكانت حراسة الجزيرة تعهد إلى خادم من العبيد يتولى تحصيل إيجاراتها إلى سيده المالك ، الذي كان يجني من ورائها موارد ضخمة جعلت كثيراً من الأغنياء يوظفون أموالهم في إقامة هذه الجزر واستغلالها بمنتهى القسوة و الجشع ، و كان الكثير من هذه الأبنية مبنية بصورة سيئة و رديئة . ولنستمع إلى ما قاله الشاعر يوفينال ، و الذي عاش في القرنين الأول والثاني الميلاديين ، وهو يشكو بمرارة من أبنية روما فيقول :

((أننا نسكن في مدينة يتألف معظمها من أحجار هشة متداعية فكيف يسد اللورد إذن الشقوق في الجدار المتهدم ، وهو ينهش في السكان الذين ينامون براحة تحت الأنقاض التي تتدلى فوق رؤوسهم)) [1].

وفي هذا العصر أخذ يزداد بالتدريج استخدام مواد للبناء أفضل من المواد القديمة وهي التي كانت عبارةً عن الخشب واللبن والمواد البركانية [2].

أما المساكن في سورية و التي تكن فقط عبارةً عن أبنية بسيطة ، بل كانت مجموعة تتضمن الكثير من الأبنية المتميزة حول ساحة محاطة بسور [3]، و تزودنا الآثار والنقوش المكتشفة في سورية بالكثير من المعلومات عن بناء المساكن في سورية الرومانية في القرون الميلادية الثلاثة الأولى ، حيث يلاحظ وجود تنوع في المساكن المكتشفة : الفيلات الفاخرة – المنازل الكبيرة المؤلفة من طابقين – المساكن المكونة من طبقة واحدة – الأكواخ المصنوعة من الأخشاب ..... [4] ، حيث تدلنا هذه المساكن على الوضع الإقتصادي والاجتماعي لمالكي هذه المساكن ، فالمساكن الريفية على سبيل المثال كانت تشكل وحدة اقتصادية من حيث الأعمال والاستثمارات التي ترتبط بها من ناحية غرف الطابق الأرضي للمسكن والباحة التي كانت مخصصة للقيام بالنشاطات الاقتصادية .

كانت لدينا ثلاثة أنواع نميزها للمساكن من وجهة نظر اجتماعية : مسكن من غرفة أو غرفتين يخص عائلات صغيرة محدودة – مساكن مؤلفة من ثلاثة غرف و هذا يدل على حالة متوسطة من ناحية عدد الأفراد – مساكن مكونة من أربع غرف أو أكثر وهو مخصص لعائلات متعددة [5].

تقسم المساكن في سورية إلى : **المساكن الريفية – المساكن المدنية – المساكن العسكرية .**

المساكن الريفية :

كانت الزراعة ، بعمالها المثابرين الأشداء ، هي القاعدة العريضة والأساس الراسخ الذي تقوم عليه الحياة في العصور القديمة ، فكانت الزراعة وفلاحة الأرض هما الوظيفتان الطبيعيتان العاديتان لأغلبية سكان الامبراطورية الرومانية المترامية الأطراف ، وعلى الرغم من التطورات التي طرأت على نظم الحياة ، فقد ظلت الزراعة الحرفة الرئيسية ، وظلت القرى بمساكنها و معابدها تضم نواة الحياة العائلية [6].

و كمقدمة سنورد ما قاله **فيتروفيوس** عن بناء البيوت الريفية " تعتمد أبعاد البيوت الريفية استناداً إلى حجم المزرعة و حجم الانتاج ، وليكن المطبخ موجوداً في الجانب الأكثر دفئاً من الساحة ، ولتكن حظائر الثيران مجاورة له . وأماكن

[21] ـ محفل ، محمد . الزين ، محمد ، دراسات في تاريخ الرومان ، ص 140 – 141 .

[22]ـ نصحي ، ابراهيم ، تاريخ الرومان ، ج 2 ، ص 823 – 824 .

[23] – Georges , T., Les campagnes de la Syrie du nourd , francais d archeologie du proche – Orient , Beyrouth , 1992 ,P.15 .

[24]- Heichelheim , F, M., Roman Syria (an economic survey of ancient Rome) , New York , 1938 , P.163 .

[25]- Georges , T., Les campagnes de la Syrie du nourd , P.17 .

[26] – وورث ، تشارلز ، الامبراطورية الرومانية ، ص 80 – 81 .

علفها مواجهة لموقد النار في المطبخ و موجهة نحو الشرق ، فالثيران التي تكون باتجاه الضوء و النار لا يتكون لها جلد ووبر خشن .

أما غرفة المشروب فتكون مضاءة من النوافذ الشمالية ، لأن أي توجيه للنوافذ باتجاه آخر سيؤدي إلى تسخين الشمس للغرفة ، وبذلك تصل الحرارة للمشروب فتفسده . ويكون موقع غرفة الزيت من جهة الجنوب بحيث تأخذ ضوءها من جهات دافئة ، لأن الزيت يجب ألا يبرد ، ويتوجب حفظه سائلاً رقيقاً بالحرارة الخفيفة ، وتُبنى غرف الزيت بأبعاد مناسبة لاستيعاب المحصول والعدد المتناسب للجرار .

تكون حظائر الخراف و الماعز كبيرة ، ويكون موقع الغلال في مكان مرتفع مع توجيه نحو الشمال أو الشمال الشرقي، وبذلك لن ترتفع حرارة الحبوب بسرعة وتبقى معتدلة بفعل التبريد بالرياح ، والتوجيه إلى جهات أخرى سيؤدي إلى سوسة الذرة و بقية المخلوقات الصغيرة إلى إفساد الحبوب .

وتُبنى مستودعات الحبوب والقش والدقيق وكذلك المخابز بشكل منعزلٍ عن البيت الريفي ، كما تتم حماية المزارع بشكل أفضل من أخطار الحريق . و إذا كان المطلوب بيوت ريفية أكثر فخامة فمن الممكن بناؤها وفق مبادئ التناظر و التناسق ، شريطة ألا يتعارض شيء في تلك الأبنية مع فائدتها في المزرعة " [1] .

قدمت سورية توثيقاً ممتازاً فيما يخص الحياة الريفية منذ نهاية الفترة الهلنستية والقرون الميلادية الثلاثة الأولى ، وقد اكتشفت هذه المساكن في معظم المناطق والمدن السورية (أنطاكية ، حوران ، دورا أوروبوس ، تدمر ...) .

فيما يخص منطقة **شمال سورية (المنطقة الكلسية)** كما وردت عند مؤرخي وعلماء الآثار، سنورد انطاكية مثالاً ، حيث اكتشف فيها عدد من المساكن والقرى يعود تاريخها إلى الفترة الرومانية – البيزنطية ، وسمحت لنا هذه الاكتشافات الأثرية للمساكن الريفية في سورية عامةً وأنطاكية خاصةً بالتعرف على المزارع التي احتوت على مجموعة من المنشآت والأبنية التي ضمت منازل مستقلة بأقسامها المختلفة من غرف و أماكن لتخزين المؤونة والمحاصيل الزراعية . كما ظهرت المساكن الكبيرة (الفيلات) نتيجة لتوزيع الأباطرة الأراضي الزراعية على المحاربين القدماء والجنود المسرحين [2] .

كان العنصر الرئيسي للمسكن هو (**الباحة**) الوسيلة الوحيدة للتواصل مع الخارج ، والتي كانت تجري فيها كل الأعمال الاقتصادية والاجتماعية ، وعلى حسب غنى وثروة المالك نرى اتساع المنزل [3] .

يقول **فيتروفيوس** عن الفسحة السماوية : " هناك خمس طرزٍ مختلفة للباحة الرئيسية Cavaedium في البيت الروماني ، و تسمى حسب طراز بنائها ، فيمكن أن تكون توسكانية أو كورنثية أو رباعية الأعمدة بشكل يُبعد المطر و Displuviate أو السلحفاتية . في **الطراز التوسكاني** ، يكون للعوارض المارة من تحت الفسحة السماوية ألواح خشبية عرضية من فوقها ، وسقفان متقابلان و متجاوزان زوايا الجدران وصولاً إلى الزوايا المشكلة من الألواح ، ويهطل المطر على الدعامات باتجاه فتحة السقف في الوسط . في **الطراز الكورنثي** يتم بناء الفسحة السماوية والعوارض وفق المبادئ نفسها ، إلا أن العوارض تمرر من الجدران الجانبية و تُدعم بالأعمدة من الجهات كافة . في **الطراز الرباعي** تكون العوارض مستندة على الزوايا بواسطة الأعمدة ، و هو ترتيب يريح العوارض . في طراز **Displuviate** تكون هناك عوارض تنحدر نزولاً حاملة للسقف و مبعدة المطر ، وهذا الطراز مناسب بشكل رئيسي في أماكن الإقامة

---

[27] **ـ فيتروفيوس ، الكتاب السادس ، الفصل السادس .**

[28] **- Sartre , M., D Alexander A Zenobie , Fayard ,2009 , P. 755 .**

[29] **ـ شيفمان ، أ ، ه ، م ، المجتمع السوري القديم ، ترجمة : حسان إسحاق ، دمشق ، د . ت ، ص 76 .**

الشتوية. يستخدم **الطراز السلحفاتي** عندما لا يتوفر المدى الكبير، وتكون الغرف الكبيرة موجودة في الطوابق العليا "[1] . يتم الوصول إلى المسكن عبر أبواب بسيطة مفتوحة في جدار السور أو من خلال غرفة في المبنى أو عبر بناء مستقل عن البيت ، وتفتح هذه الأبواب مباشرةً على الباحة وليس على الغرف ، أما بالنسبة للمداخل فقد كانت تؤدي إلى الغرف ، فإذا كانت المساكن مؤلفة من طابقين فإن مداخلها تشبه الأبراج . أما السكن المكون من طابق واحد فقد كان يبدأ بمدخل وقوس بارز ثم باب وممر بسيط [2].

كانت هذه المساكن مكاناً لإقامة أصحابها من جهة ، ومن جهة أخرى مكاناً للعمل والإسطبلات والمستودعات .

وكان كل بناء مغطى بسقف ذو انحدارين لدرء مياه الأمطار في الشتاء [3]، كما أن المساحات في مركز المساكن الريفية هي عبارة عن باحة و ليست أرضاً زراعية و لم تقم فيها أية أعمال زراعية باستثناء بعض الأشجار و الأزهار المنزلية البسيطة ، وهي كانت مكاناً للمرور والاجتماعات وعمل الأفراد وإسطبلات للحيوانات ومستودعات للحبوب ومعاصر للزيتون إضافةً إلى خزانات المياه ، وكان السكن العائلي في الطابق العلوي ، وتأتي أهمية المسكن من حيث عدد غرفه وزينة جدرانه [4].

أما من ناحية التوجيه الصحيح لمختلف الغرف : فتوجه غرف تناول الطعام الشتوية والحمامات توجهاً جنوبياً لحاجتها إلى النور المسائي ، ولأن الشمس تمنح الدفء اللطيف لتلك الأجنحة في المساء عند غروبها وسطوعها عليها بحرارة مخففة . وتوجه غرف الطعام نحو الشرق في فصلي الربيع و الخريف ، لأن هذا التوجيه يتوافق مع مرور الشمس نحو الغرب والتي تجعل الغرف ضمن حرارة مناسبة في الوقت المعتاد لاستخدامها ، أما غرف تناول الطعام الصيفية فيتم توجيهها نحو الشمال ، لأن هذا الاتجاه لا يتعرض لمسار الشمس ، ولا يكون ملتهباً من شدة الحرارة أثناء فترات الانقلاب الصيفي كما هو الحال مع غيره من الاتجاهات وعليه فإنها تبقى لطيفة الجو ، وتجعل من استعمال تلك الغرف أمراً صحياً ومرغوباً في آن معاً [5] .

أما بالنسبة للمساكن الريفية في **جنوب سورية (المنطقة البازلتية)** باتانيا (حوران والسويداء) ، تراكونتيس (اللجاة)، أورانيتس (حوران اللفظ الإغريقي) ، بقيت بالدرجة الأولى إقليماً ريفياً حتى نهاية الإمبراطورية الرومانية ، حيث يلاحظ الدور الأساسي للقرية في اقتصادها ، وهي أحد المنطقتين الأثريتين في سورية القديمة نظراً لكثافة أوابدها وأبنيتها الأثرية والتي لم تحظ بدراسات بمقدار ما حظيت به منطقة الهضبة الشمالية الكلسية في الشمال السوري من ناحية العلماء والبعثات الأثرية المتعاقبة لدراسة اقتصادها الريفي ، وكان المظهر الرئيسي للحياة الإجتماعية والاقتصادية للمنطقة (قروياً) [6].

---

[30] ـ فيتروفيوس ، الكتاب السادس ، الفصل الثالث .

[31]- Georges , T ., Les campagnes de la Syrie du nourd , PP.42 -44 . – Sartre , M ., D Alexander A Zenobie , p . 735 .

[32] – Pollard , N ., Soldiers , cities , and civilians in Syria , U.S.A. 2000 . P. 201 . – Georges , T., Les campagnes de la Syrie du nourd , PP.42-45 .

[33] – Sartre , M., D Alexander A Zenobie , PP.745 -747 .

[34] ـ فيتروفيوس ، الكتاب السادس ، الفصل الثالث .

[35]-Butler , H , C ., Ancient architecture in Syria , Southern Syria , part 3 , Leyden , 1913 , pp . 149 - 213 –. بالتي ، باسكال ، كلوس ، المساكن الرومانية – البيزنطية في قرى البثنية ، البعثات 2002 – 2004 ، ترجمة : ديمة أشقر ، حوران 3 ، دمشق ، 2016 ، ص 101– 103 .

تقسم حوران إلى ثلاثة مناطق كبيرة تتميز بعوامل مناخية و تكوينية : سهل البثنية و النقرة في الغرب والجنوب و هضبة اللجاة في المركز وكتلة جبل العرب في الشرق . وإن لهذه العوامل الطبيعية تأثيرها المباشر على الاقتصاد و نمط حياة السكان وعلى الفن المعماري للمساكن القروية .

لقد أحصيت حوالي 50 قرية قديمة صغيرة وكبيرة في حوران و مثلها في البثنية ، و يتوافق توزع هذه القرى مع أماكن تواجد مصادر المياه بشكل رئيسي ، وعلى عكس المدن الميتة في المنطقة الكلسية عرفت قرى جنوب سورية استيطاناً طويلاً ، و يمكن أن نميز شكلين من تنظيم القرى : – قرى مكونة من مساكن مبعثرة فوق مساحات خالية من العمار ، وقرى مكونة من مساكن يستند أحدها على الآخر وفق النموذج المتراص مبنية من البازلت ، وكان الحجر البازلتي المادة الأساسية المستخدمة في بناء المساكن ، وحتى في بناء السقف باستخدام ما يسمى بالجوائز البازلتية المستندة على ميازين حجرية [1]، هذا الأمر ميز العمارة السكنية في منطقة جنوب سورية بتجانسها الكامل ، و قد أكسبتها مادة البازلت مزايا خاصة ميزتها عن غيرها من المساكن القروية ، وأهم ما يميزها هو افتقارها للأخشاب والتبني المنهجي للحجر البازلتي المحلي كمادة وحيدة للبناء ، إذ استخدمت في بناء الأسقف بعد أن نحتت على شكل بلاطات بازلتية ، ويلاحظ أيضاً أن الجدران كانت مضاعفةً بهدف تخفيف حمولة الأسقف بهدف تكلفة نحت الحجر البازلتي القاسي جداً، وصفت الحجارة فوق بعضها البعض دون استخدام الملاط أو المفاصل المعدنية وتم ملئ الفراغات فيما بينها بالدبش والطين .

بالنسبة للأبواب والنوافذ فقد صنعت من الحجارة الملساء أو المنقرة ، زواياها منحوتة بإتقان لتسهيل إحكام انطباقها ، أما الأبواب فتكون كبيرة في مداخل الباحات و قاعات الاستقبال و المستودعات ، بينما تكون أصغر حجماً عندما تكون وظيفتها تأمين الاتصال بين الغرف الداخلية . يعلو أكثر الأبواب نافذة صغيرة مستطيلة أو شراعة تفيد في إنارة الغرفة، وفي تخفيف حمولة ساكف المدخل ، وتزود القاعات الخاصة بوحدات الاستقبال أو المعيشة بأبواب مفتوحة على الباحات يعلوها ثلاث نوافذ أو أكثر مختلفة الأحجام و الأشكال ، يؤمن سقف الرواق حماية هذه النوافذ من الشمس و الأمطار ، أو قد يحميها إفريز حجري صغير في حال غياب الرواق . و نلاحظ أن الغرف الصغيرة في الطابق الأرضي و الوحدات المخصصة لتربية الماشية لا تنعم إلا بإنارة ضعيفة ، في المقابل زودت غرف الطوابق العلوية بعدد أكبر من النوافذ المفتوحة نحو الباحة أو الخارج (بعيدة عن نظرات الفضوليين) إذ لم يكن مالكي هذه المساكن غير مبالين بالضوء ، وإنما كانوا يحاولون أن يحافظوا على حميمية مساكنهم و حمايتها من المتطفلين [2] . ويقول **فيتروفيوس** في وصفه للنوافذ : " علينا الاهتمام بأن تكون جميع الأبنية مضاءة بشكل جيد ، وهذا أمر سهل بالنسبة إلى الأبنية المقامة على أراض ريفية لعدم وجود حائط مجاور يشكل حاجزاً على عكس المدن ، فضيق المكان والجدران الفاصلة تحجب النور و تجعل الأبنية مظلمة ، و كقاعدة عامة علينا التنظيم و الترتيب بحيث نترك مكاناً للنوافذ على كل الجوانب التي يمكن أن توفر إطلالة حرة نحو السماء ، وهذا ما يجعل أبنيتها مضاءة و النوافذ ليست ضرورية فقط لغرف الطعام ، وبقية الغرف الأخرى المخصصة للاستخدام العام بل للممرات سواء كانت مستوية أو مائلة ، وكذلك للأدراج [3] .

[36] ـ دانتزر ، ج ، م ، سورية الجنوبية (حوران) بحوث أثرية في العهدين الهلنستي و الروماني ، ترجمة : أحمد عبد الكريم ، ميشيل عيسى ، سالم عيسى ، دمشق ، 1988 ، ص 135 .

[37] ـ بالتي ، باسكال ، كلوس ، المساكن الرومانية – البيزنطية في قرى البثنية ، ص 123 – 124 .

[38] ـ فيتروفيوس ، الكتاب السادس ، الفصل السادس .

إن الفرق بين مساكن المنطقة الشمالية و الجنوبية ليست كبيرة تتعلق بالجدران ، ارتفاعها ، الزخرفة ، فروقات تتعلق بتكلفة البناء . كالبيت المكتشف في المنطقة الجنوبية (المسيفرة) والذي يعود بناؤه إلى أواخر القرن الثالث الميلادي أو القرن الرابع الميلادي ، ميزته بأنه بناء مؤلف من وحدتين متماثلتين ، ملتصقتين لكن غير مشتركتين مشابه للبيوت المكتشفة في سورية الشمالية ، والذي يمكن تفسيره بأنه كان مسكناً لأسرتين أخوين أو أب و ابنه [1].

ترتيب هذا البيت يشرك غرفة داخلية كبيرة بغرفة صغيرة خارجية ، وأظهرت الدراسات أن الغرفة الداخلية كانت تشكل الطابق كله ، مخطط الغرفة مستطيل جدرانه مزدوجة تربطها عوارض حجرية غير منتظمة الارتفاعات ، واجهة تتخللها أبواب و نوافذ مزخرفة بأروقة و عناصر تزيينية ، تقابل بقية الجدران الثلاثة التي تنعدم فيها المنافذ أو تكاد ، والجدران الأخرى باستثناء الواجهة هي من الحجارة السيئة الترتيب ، على عكس البيت المكتشف في الكرك فمظهره جيد ، تزينه أحجار بازلتية منحوتة ، ملساء ، جميلة ، متراصة ، يتوسط الواجهة باب وحيد [2]. وكان يتم التخلص من وزن الجدران عن طريق بناء الأقواس المشكلة من لبنات ووصلات متجهة نحو المركز ، ولذلك لن ينحني الخشب ، كما تتيح هذه الوضعية استبدال الخشب الفاسد مع مرور الزمن بسهولة و يسر دون بناء مساند [3] .

وبالعودة لغرف الطابق الأرضي في عدد من المساكن (سيع) أيضاً كانت من دون منفذ أو مصدر ضوئي سوى من الواجهة ، غرفة بشكل مربع حجمها متوسط ، أرض الغرفة لها درج حجري ملتصق بالجدار ، وهناك سلسلة من المعالف كل واحد منها يتألف من حوض و من فتحة فوق الحوض تمكن الحيوان من إدخال رأسه ، وإن أعلى حلقات هذه الأحواض غالباً ما تكون مثقوبة من جانب الغرفة ، ولهذا أهمية مزدوجة الأولى : يثبت بأن هذا الثقب له علاقة أساسية بالمعالف بشكل مؤكد ، لأن له علاقة بالتنظيم الأساسي للغرف السفلية للبيوت الريفية ، ثانياً : هذه الثقوب في أحواض المعالف تبين مدى ضرورة ربط كل حيوان في معلفه ، وتثبت بأن هذه الغرفة استخدمت كزريبة للحيوانات [4].

شكل سهل البثنية سهلاً واسعاً تميز بنشاطين اقتصاديين رئيسيين هو زراعة الحبوب و تربية المواشي ، وهذا ما استدعى بديهياً بناء هذه الاسطبلات و المخازن في الطوابق الأرضية و الكوات لتزويد الحيوانات بالعلف [5]، أما الغرفة الموجودة فوق الزريبة (الغرفة الأرضية) فيصعب تفسير وجودها فهي مظلمة و مغلقة جيداً ، ومن الممكن أنها خصصت لتخزين المواد التموينية (الحبوب) .

بالنسبة للأدراج فقد ضمت مساكن البثنية طوابق علوية ، ولم يعثر على أي درج داخلي في أي واحد منها حتى الآن ، إذ عادة ما تستند الأدراج على واجهة البناء أو على سور الباحة . كما واستعان المعماريون بتقنيات أخرى تسمح لهم ببناء غرف أكثر اتساعاً ، تتمثل أكثر هذه التقنيات بساطة بالدعامة المركزية المستخدمة منذ الألفية الرابعة ، في المقابل لا نشاهد تقنية اسناد السقف على دعامة أو أكثر في مساكن البثنية ، إذ تم استبدال الدعامة بعنصر آخر هو القوس الداعم التام نصف الدائري ، ويتألف هذا القوس من صنجات منحوتة و مصفوفة بإتقان مسنودة على عضادات، أي أنه يشكل مع عضاداته عناصر معمارية متقنة الصنع لا يمكن أن ينجزها إلا حرفيون متخصصون متقنون لعملهم، ويعد كل من القوس و القبة الداعمة عنصرين معماريين رومانيين ، وهما العنصران المستخدمان في المنطقة بهدف

---

[39] ـ دانتزر ، ج ، م ، سورية الجنوبية (حوران) بحوث أثرية في العهدين الهلنستي و الروماني ، ص 135 – 136 .

[40]- Sartre , M ., D Alexander A Zenobie , PP. 745 – 747 .

[41] ـ فيتروفيوس ، الكتاب السادس ، الفصل الثامن .

[42] – دانتزر ، ج ، م ، سورية الجنوبية (حوران) بحوث أثرية في العهدين الهلنستي و الروماني ، ص 141 – 142 .

[43] – بالتي ، باسكال ، كلوس ، المساكن الرومانية – البيزنطية في قرى البثنية ، ص 139 – 140 . – دانتزر ، ص 142 .

زيادة مساحة الغرف ، لكن على عكس الأقواس ، نادراً ما تستخدم القباب في العمارة السكنية بسبب كلفة بنائها العالية، لم نشاهدها إلا في أكثر مساكن البثنية غنىً ، وهذا ما يعكس أهمية هذه الغرف ووظيفتها المميزة [1]

وهذه أمثلة عن بعض المساكن المكتشفة في عدد من مناطق حوران (المنطقة البازلتية) :

بيت (مجدل الشور) البيت القروي البسيط الذي يعود إلى الفترة الرومانية البيزنطية ، مؤلف من طابق يعلو الطابق الأرضي . كما وعثر أيضاً على **بيت** مؤلف من وحدتي سكن ملتصقتين ولكن غير مشتركتين ، واحد منهما تحوي زريبة بخمسة معالف مع ملحق جانبي وهو داخل الغرفة الكبيرة للطابق الأرضي ، نوعية بناءه جيدة : ترتيب و ارتسام منتظمان ، عوارض متقنة الصنع ، خزائن جدارية تتضمن شقاً لتثبيت باب خشبي ، و أخدوداً أفقياً لتشكيل رف ، بيت خلاء في الزاوية الجنوبية الشرقية ، إضافة لاكتشاف بعض أنواع من الديكور ، فتحة مستديرة محاطة بصف من الزخرف البيضي [2].

بشكل عام يمكن أن نقول بأن الغرف قسمت إلى ثلاثة أنواع : الغرف المخصصة للنشاطات الاقتصادية (تربية المواشي و تخزين الحبوب) والغرف المخصصة للسكن وتلك المخصصة لاستقبال الزبائن أو لإدارة الأملاك .

ويرجح بأن المنامة والحياة المنزلية كان مقرهما الطوابق العلوية والعمل و تربية المواشي في الطوابق الأرضية ، وهي عادة قديمة منتشرة في الشرق ، وفي هذا الطابق السكني تعود الأهمية للغرفة الكبيرة المخصصة لاستقبال وإيواء الضيوف وغرفة طعام للعائلة .

سمحت هذه الدراسة لهذه الأمثلة من المساكن في منطقة حوران إلى تكوين فكرة واضحة عن العمارة السكنية في هذه المنطقة ، تعكس هذه المساكن صفات خاصة ميزت منطقة جنوب سورية عن غيرها من المناطق المجاورة كإتقان بنائها و اتساعها و غناها بالزخارف مما عكس بدوره غنى سكان هذا السهل المرتفع .

– **الفناء المغلق** كلياً (الشائع في العمارة السكنية القروية الخاصة بمنطقة البحر المتوسط) و الذي كان يهدف لحماية الخصوصية العائلية من المتطفلين ومن الحيوانات الشاردة . – **مادة البناء** (البلاطات الحجرية) في منطقة تخلو من الأخشاب ، و هي تقنية بناء محلية تم تبنيها بدافع الاستغناء عن استيراد مواد البناء . **– تقنية القوس** الداعم التقنية الرومانية والتي حلت مكان تقنية الدعامة المركزية المستخدمة منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد . **– الرواق** والذي عد أيضاً عنصراً رومانياً مع القناطر و الأعمدة ، كما أسهم الرواق في زيادة ارتفاع المسكن وفي إبراز الواجهات .

على الرغم من التأثر الكبير للنبلاء بالحضارة الرومانية والذي يمكن أن نلمسه بشكل خاص من خلال الكتابات المنقوشة على المسلات الجنائزية ، إلا أنهم قاموا بتصميم منازلهم وفق تقنيات البناء المحلية التقليدية ، إذ لم يعثر على أي أثر لنظام الفيلا الروماني المتمثلة بترتيبها الثنائي : الجزء الريفي و الجزء المدني [3].

بالنتيجة يمكن القول أن تنوع المساكن القروية من فيلات و مساكن كبيرة ، متوسطة و صغيرة ... جاءت نتيجة لتنوع الطبقات الاجتماعية و اختلاف ثرواتهم و عدد أفراد الأسرة القاطنة في المنزل .

[44] – بالتي ، باسكال ، كلوس ، المساكن الرومانية – البيزنطية ، ص 126 – 127
[45] – دانتزر ، ج ، م ، سورية الجنوبية (حوران) بحوث أثرية في العهدين الهلنستي و الروماني ، ص 150 .
[46] – بالتي ، باسكال ، كلوس ، المساكن الرومانية – البيزنطية ، ص 138 – 139 . – دانتزر ، ج ، م ، سورية الجنوبية (حوران) بحوث أثرية في العهدين الهلنستي و الروماني ، ص 143 – 182 – 183 .

المساكن المدنية :

أما المدن التي كانت تعتمد على الريف وعلى كد أهل الريف للحصول على غذائها و بخاصة القمح . ومن الريف كانت المدن تستنزف الطعام و الرجال ، سواء هذه المدن كبيرة أم صغيرةً فكانت تعتمد على ما جاورها من المناطق الريفية [1] .

و يقول **فيتروفيوس** عن البيوت المدنية : " من المبادئ الأساسية لبناء الغرف في البيوت الخاصة ، **فالغرف الخاصة** هي تلك التي لا يسمح لأحد بدخولها دون دعوة مثل : غرف النوم و غرف الطعام و الحمامات ... ، أما **الغرف المشتركة** : فهي التي يمكن لأي شخص من الدخول إليها دون دعوة و تشمل باحات الدخول و الغرف ، من هنا لا يحتاج الناس العاديون إلى باحات دخول أو غرفة ضيوف أو قاعات مركزية مكشوفة مبنية بطراز فخم . أما أولئك الذين يتعاملون **بالمنتجات الريفية** و مالكي المزارع . فكان يتم بناء غرف أكثر راحة و رفاهية وأماناً ضد السرقة . أما ما يُبنى من أجل المحامين و النواب فتكون الغرف أجمل وأكثر اتساعاً لاستيعاب الحاجات .

أما بالنسبة إلى أصحاب المناصب والمراكز ، فمن الواجب أن تكون هناك باحات دخول فاخرة ذات طراز ملكي تتناسب وهيبتهم ، وتستوجب عقد الجلسات و الحالات القضائية . وما عليهم من التزامات اجتماعية تجاه مواطنيهم ..... .

إذاً تم تخطيط المنازل على هذه المبادئ المتناسبة مع طبقات الناس المختلفة . وإن القواعد الخاصة بهذه الأمور تبقى واردة ، ليس فقط للبيوت في المدينة ، بل للبيوت في الريف ، ما عدا أنه في المدينة تكون الباحة مجاورة للباب الرئيسي الأمامي ، بينما تكون الأولوية في العزب الريفية للممرات المعمدة ، وبعد ذلك للباحات المحاطة بالأعمدة " [2] .

اكتشف في أنطاكية سنة 1930 م حوالي أربعين قطعة (لوحات) من الموزاييك الغاية في الروعة و الجمال ، و التي تعود للقرنين الثاني و الثالث الميلاديين ، و قطع أخرى نادرة تعود للقرن الأول الميلادي وكانت هذه القطع (اللوحات) تزين أرضيات المنازل المدنية ، وهي دليل على غنى و ترف هذه المساكن .

ومن الممكن أخذ فكرة عامة عن هذه المساكن والتي كانت تتألف من غرفة كبيرة وغرفة للطعام ، وتحتوي على مقاعد في الأطراف الثلاثة ، والغرفة الكبيرة كانت واسعة جداً يتقدمها في بعض الأحيان رواق ذو أعمدة مطلة على باحة أو على غرفة ذات محراب محفور فيه حوض يمنح الساكنين والمدعوين إليه منظراً جميلاً و منعشاً ، وكانت هذه المنازل تحتوي على حوالي 20 غرفة أو أكثر .

لقد أظهرت التنقيبات الأثرية في **تدمر** عن منازل جميلة وكبيرة تقع على أطراف الواحة وهي ذات باحة وأعمدة ، واحتوت على الفسيفساء الجميلة ، وبعضها يعود إلى فترة القرن الثاني الميلادي ، وبجانب هذه المساكن وجدت المستودعات ، وهي أصغر من المنازل المكتشفة في أبامية و أنطاكية البالغة مساحتها بين 2000 – 4500 م2 ، أما مساحة المنازل المكتشفة في تدمر فقد بلغت حوال 500 – 1200 م2 .

من منازل تدمر المكتشفة : **منزل Achille** القريب من معبد بل و المؤلف من سبع عشرة غرفة ، و هذه الغرف لم تكن حول باحة ورواق ذو أعمدة ، بل كانت مطلة على ثلاث باحات اثنتان منهما ذو أعمدة وهذا يسمح بإضاءة كل الغرف بصورة كافية .

[47] ـ وورث ، تشارلز ، الامبراطورية الرومانية ، ص 80 – 81 .
[48] ـ فيتروفيوس ، الكتاب السادس ، الفصل الخامس .

وجد منزل آخر جنوب المسرح وهو ذو مخطط كلاسيكي قريب من منازل أفاميا و أنطاكية مع باحة مركزية و رواق ذو أعمدة و الغرف موزعة حولها .

كما واكتشف في أبامية ثمانية منازل أعطت بصورة عامة فكرةً عن مخطط المساكن فيها ، حيث امتلكت جميع هذه المنازل باحة واسعة معمدة مع ممر أكثر ارتفاعاً من الممرات الأخرى ، وبشكل عام المساحات كانت كبيرةً دائماً .

كشفت التنقيبات الأثرية في أواخر التسعينات عن وجود منازل فاخرة مبنية من القرن الأول الميلادي على أطراف الفرات غنية باللوحات الفسيفسائية والذي يتشابه مع فسيفساء أنطاكية [1].

المساكن في دورا أوروبوس :

لم تقدم كل المدن السورية نفس مجموعة المنازل الجميلة ذات المخطط السوري اليوناني ، حيث وجد في بعض المدن السورية كدورا أوروبوس تنوع محلي كبير في مخططات منازلها جاءت بين الفارسي و اليوناني والسوري والروماني [2]، كما و حددت هندسة البيوت المكتشفة في دورا طبيعة الحياة الأسرية فيها و خصوصيتها ، إذ صممت بشكل ويتلاءم مع عزلة وخصوصية الحياة الداخلية للبيوت عن الخارج ، فقد كانت الأبواب المواجهة للشارع مصممة على شكل حرف L ليحميها من نظرات المارة والفضوليين ، حتى و لو بقيت الأبواب مفتوحة .

كان المنزل عبارة عن مجموعة من الغرف الصغيرة يتم تنظيمها عبر فناء مركزي مع أبواب لكل غرفة ، و في البيوت الكبيرة تم اكتشاف ساحات تتوسط الغرف .

ومن الملفت للنظر أن الكتابات المكتشفة على جدران المنازل والغرف ، إضافةً إلى الرسوم والمشاهد التصويرية لسفن صيد ، مواضيع اقتصادية : كذكر ثمن النبيذ المدفوع على سبيل المثال ، أو ذات معاني دينية كذكر أسماء الآلهة ، أو أسماء الأشخاص ، و جاءت هذه الكتابات بثلاث لغات : يونانية – آرامية – لاتينية . و الكلمات باللغات الثلاثة كلها ذات معنى واحد . **مثال :**

Barlaa , Timarkos or Aurelios

كما واكتسبت الجهة الشمالية لدورا أوروبوس صفة عسكرية ، بسبب تمركز حامية الجيش الروماني هناك ، و هذا مثبت من خلال العديد من النقوش المكتشفة فيها ، وأغلبية المساكن العسكرية المكتشفة تعود لفترة الإمبراطور الروماني Caracalla كراكلا 211 –217 [3].

لقد تنوعت المباني المستخدمة من قبل الجيش داخل الثكنة العسكرية ، كالمبنى الرئيسي لقائد الفيلق ، كما و تنوعت المساكن بشكل عام بين المدنية والعسكرية وكانت مفعمةً بالحياة . وإن معظم هذه المساكن جاءت كنموذج للتصميم الريفي و من ثم تحولت إلى مساكن للاستخدام العسكري ، لأن معظم المباني في دورا كانت قد بنيت لأسباب عسكرية.

مثال : لبيت مدني يعود للقرن الثاني الميلادي ، و يتبين من الآثار المتبقية لهذا المسكن أنه كان قد أعيد بناؤه وأجريت تعديلات لتقسيم جدرانه ، كما ووجد في غرف المنزل معدات عسكرية ، وعلى جدرانه اكتشفت كتابات لاتينية تعود لجنود الحامية الرومانية .

منزل آخر يعود إلى أحد أفراد الحامية العسكرية { منزل سكرييس الروماني } ، و كان هذا المنزل ذو مخطط بارثي ولكن أعيد بناؤه و تعديله و زخرفته بلوحات جدارية وصور لرجال بأسماء يونانية وآرامية دون ألقاب عسكرية [1].

[49] – Sartre , M ., D Alexander A Zenobie , PP . 690 – 697 .

[50] – Pollard , N., Soldiers , cities , and civilians in Syria , P.47 .

[51] - Baird , J , A., Scratching the walls of houses at Dura Europos , Germany , 2014 , PP. 489 – 490 .

الخاتمة :

يمكن أن نستنتج من هذا البحث أن أشكال المساكن في سورية في الفترة الرومانية ، دلت على مدى التطور الاقتصادي (الزراعي) والاجتماعي للقرى والمدن في سورية التي ازدهرت وعاشت فترةً من السلم والأمن استمر 200 عام ، هذا الازدهار الذي انعكس على عمرانها ومنشآتها بحسب الوضع الاقتصادي للطبقات الاجتماعية المتفاوتة ما بين الطبقة الغنية (صاحبة البيوت الكبيرة و الفيلات) والطبقة المتوسطة (أصحاب البيوت الصغيرة) والطبقة الفقيرة (التي تسكن في الأكواخ) ، وتنوع هذه المساكن من ناحية مساحتها و المكونة من طابقين أو من طابق واحد ، مع وجود الباحة و التي استخدمت لإدارة الأمور الاقتصادية لصاحب البيت و غرف الطابق الأرضي استخدمت أيضاً كغرف لتخزين المحصول والمؤونة ، والاسطبلات والمعالف للحيوانات ، أما الطابق الثاني فقد كان مخصصاً للحياة الأسرية لصاحب المسكن والمحمية من نظرات الفضوليين والمكونة من غرفة كبيرة للطعام بالإضافة إلى الغرف الأخرى.

المصادر المعربة :

1-VITRUVIUS.THE TEN BOOKS ON ARCHITECTURE .Translated by Abdeen Y., Okba , F., Books 6 , part 1,3,5,6,8. Damascus university,2009 ..

المراجع العربية :

Alnnasery,S,A., Political and cultural history of the Empire ,Cairo, 1985 1-
2-Ibraim,N., Roman history , part 2 , Cairo , 1983.
3-Mohaffel,M., Alzzen,M., Studies in the Roman History,Damascus,2019.
4-Nosshe , E ., Roman history, part 2 ,Cairo , 1983.

المراجع المعربة :

1-Balty,C,P., Roman Byzantine residences in the villages of Buthnia , Houran 3 , translated by Ashkar Dima , Damascus , 2016.
2-Balty,C,P.,Frank,B., What regional frameworks dose the rural house belong to in the south of Syria , Houran 3 , translated by Ashkar Dima , Damascus , 2016 .
3-Dentezir,J,M., Southern Syria , archaeological research in the Hellenistic and Roman periods , translated by Ahmad Abd Alkareem , Michel Essa , Salem Essa , Damascus , 1988.

Sources :

1-AMMIANUS MARCELLINUS .Translated by John Rolf . (the surviving books of the history of Amianus Marcellinus) XIV ., 8 , 5 – 10 .
2-Diodorus of Sicily.Translated by Francais Walton . XXI . 1 . 4b – 6 – London . 1967 .
3-Malalas.John.The chronicle of John Malalas . Translated by Elizabeth Jeffry , Roger Scott , Sydney , 1986 .

Bibliography :

1-Baird,J,A., Scratching the walls of houses at Dura Europos ,Germany , 2014 .
2-Butler,H,C., Ancient architecture in Syria , Southern Syria , Leyden , 1913 .
3-Heichelheim,F,M., Roman Syria (an economic survey of ancient Rome) New York , 1938 .
4-Jones,A,H,M., Cities of Eastern Roman provinces , translated by Ehssan Abbas , Amman , 1987 .
5-Pollard,N., Soldiers , cities and civilians in Syria , U.S.A. 2000 .

[52]- Pollard , N ., Soldiers , cities and civilians in Syria , PP. 48 – 53 – 54 .- Sartre , M., D Alexander A Zenobie , P. 697 .

6-Rostovtzeff,M., Caravan cities , Oxford ,1992 .
7-Rostovtzeff,M., The near East in the Hellenistic and Roman times , Harvard , 1940 .
8-Sartre,M., D Alexander A Zenobie , Fayard , 2009 .
9-Shiffman,A,S., Ancient Syria society , translated by Hassan Essak , Damascus , 2000 .
10-Tarn,W., Hellenistic civilization , London ,1966 .
11-Tate,G., Les campagnes de la Syrie du nourd , francais d archeologie du proche , Orient , Beyrouth , 1992 .
12-Worlth,Ch., Roman Empire , translated by Ramez , J ., Cairo ,1999 .
13-Грущевой,А,Г., Очерки экономической историй Сирии и Палестина в древности (1 В До Н.Э.) . СПБ . 2013 .
14-Кузищина,В,И., История древнего Рима . М., 2000 .
15-Матеев,К.,Созонов,А., Пять жизней древней Сури , М., 1989 .